الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد :

بابٌ فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وقوله الله تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢] .

****

هذه الترجمة «**فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب**» عقدها رحمه الله تعالى بعد أن بيَّن مكانة التوحيد ، وأنه حق الله على العبيد ، وأنه أوجب الواجبات وأعظم الفرائض ، وأنه الغاية التي لأجلها خلَق الخلق ولأجلها أرسل الرسل وأنزل الكتب ؛ فبعد بيانه لذلك رحمه الله تعالى عقد هذه الترجمة ليبين مكانة التوحيد وفضله وعظيم ثوابه وأجره ، وأنه حسنةٌ عظيمة وطاعةٌ كبيرة تكفَّر بها الذنوب وتمحى بها الخطايا وأساسٌ به تُقبل الأعمال .

قال : ((**فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب**)) ؛ «فضل» : مفرد مضاف يفيد العموم؛ أي فضائل التوحيد ، لأن فضائل التوحيد كثيرة جداً ، وثماره وآثاره متعددة ، وخيراته وبركاته لا حد لها ولا حصر . فقوله ((فضل التوحيد)) أي: فضائل التوحيد ، والمفرد إذا أضيف يفيد العموم .

وقوله ((وما يكفِّر من الذنوب)) يحتمل أن تكون «ما» موصولة ، ويحتمل أن تكون مصدرية ؛ فضل التوحيد والذي يكفِّره من الذنوب ، أو فضل التوحيد وتكفيره للذنوب . والثانية أوْلى ، لأن الأُولى تحتمل أن ثمة ذنوباً لا يكفرها التوحيد ، فالأوْلى أن تكون «ما» مصدرية؛ فضل التوحيد وتكفيره للذنوب .

والتوحيد أعظم مكفِّرٍ للذنوب ، وإن لم يكن المرء موحِّدًا حبطت أعماله وكان من الخاسرين قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ أي مخلصًا ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

والتوحيد له فضائل كثيرة جداً وعديدة ومتنوعة ، وقد ساق رحمه الله شيئاً من الدلائل في بيان عظيم فضل التوحيد وكبير أجره وأنه يكفِّر الذنوب ؛ بدأ أولاً بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي : بالله عز وجل وبما أمرهم سبحانه وتعالى بالإيمان به من أصولٍ عظام ، وأيضاً عملوا الصالحات ،لأن الإيمان إذا أطلق يتناول ما يقوم بالقلب من عقائد وكذلكم يتناول فعل الأعمال الصالحات ، فالإيمان قولٌ واعتقاد وعمل ؛ آمنوا : أي أقرُّوا بقلوبهم وأذعنوا وانقادوا بجوارحهم طاعةً وامتثالاً واتباعاً لشرع الله سبحانه وتعالى ، فلا إيمان إلا بعمل كما أنه لا عمل إلا بإيمان وهما قرينان ، ومنزلة الإيمان من العمل منزلة الروح من الجسد ، فقوله «آمنوا» أي : أقرُّوا وعملوا ، وُجد منهم الإقرار والإذعان القلبي ، ووُجد منهم الانقياد والطاعة والامتثال لله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ؛ يلبسوا : أي يخلِطوا . لم يلبسوا إيمانهم بظلم : أي لم يخلطوا توحيدهم وإخلاصهم لله سبحانه وتعالى بظلمٍ ، وقوله ﴿بِظُلْمٍ﴾ هنا عام ، ولهذا فهم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم من هذا العموم أن الآية تتناول ظلم العبد لنفسه ، ولهذا لما نزلت هذه الآية شق الأمر على الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وقالوا: «يا رسول الله أيُّنا لم يظلم نفسه ؟» أي ما منا إلا وقد وقع في شيء من الظلم للنفس ، قالوا «أينا لم يظلم نفسه؟» لأنهم وجدوا أن الآية نصٌ على أن حصول الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة مرتبط بالإيمان مع السلامة من الظلم ﴿آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ((ليس ذاك ، أما قرأتم قول العبد الصالح ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])) ؛ فبين لهم عليه الصلاة والسلام أنَّ الظلم هنا في هذه الآية الكريمة وفي هذا السياق إنما هو الشرك ، وذكر لهم قول لقمان لابنه ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . وأيُّ وضع للشيء في غير موضعه أشنع من وضع العبادة وجعْلها لغير مستحقها؟! يخلق الله ثم يعبدون غيره ! يرزق الله ثم يلجئون إلى غيره! هذا أظلم الظلم وأشنعه ، وهو الظلم الذي لا يُغفر لمن مات عليه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] ، وجاء في حديث يُرفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((دواوين الظلم يوم القيامة ثلاثة: ديوانٌ لا يغفره الله ، وديوان لا يتركه الله ، وديوان لا يعبأ الله به ؛ أما الذي لا يغفره الله فالشرك ، وأما الذي لا يتركه الله فحقوق العباد حتى يقتص للمظلوم من ظالمه ، وأما الذي لا يعبأ الله به فما دون ذلك)) ؛ فالشرك بالله سبحانه وتعالى هو أظلم الظلم .

فبين لهم صلوات الله وسلامه عليه أنَّ الذي آمن ولم يلبس إيمانه بظلم أي لم يخلط إخلاصه وعبوديته لله بشركٍ فهذا هو الذي له الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة . وهذا الذي آمن ولم يخلط إيمانه بشرك إما أن يكون حقق الإيمان وكمَّله ؛ فإن كان كذلك فله الأمن والاهتداء المطلق أي التام الكامل ، أما إذا كان خلط إيمانه بمعاصي

وكبائر وآثام دون أن يبلغ بذلك حد الكفر بالله سبحانه وتعالى فله حظٌ من الأمن والاهتداء بحسب حظه ونصيبه من الإيمان ، أما الذي خلط أعماله بالشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى فهذا لا نصيب له ولا حظ من الأمن والاهتداء .

ولهذا الناس أقسامٌ ثلاثة من حيث حظهم من الأمن والاهتداء :

- الأول : أهل الإيمان المطلق أي الكامل ؛ وهؤلاء لهم الأمن والاهتداء المطلق أي الكامل .
- والقسم الثاني : من عنده مطلق الإيمان ؛ أي عنده أصل الإيمان عنده التوحيد لكنه وقع في شيء من الكبائر أو ترك شيء من الواجبات دون أن يبلغ بذلك الكفر الناقل من الملة ، فهذا له مطلق الأمن ، أي له من الأمن بحسب حظه من الإيمان .
- ومن لا إيمان له – هذا القسم الثالث – فلا أمن له ولا اهتداء .

فالناس في ضوء هذه الآية الكريمة ينقسمون إلى أقسام ثلاثة . والآية فيها دليلٌ لما ترجم له المصنف رحمه الله تعالى من بيانٍ عظيم لفضل التوحيد ومكانته وعظيم ثواب أهله ، وأن أهل التوحيد هم أهل الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة ؛ فلا أمن إلا به ولا اهتداء إلا به ، نظيرها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥] «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» إذا كان بهذه الصفة فله الأمن وله الاهتداء في الدنيا والآخرة .

ولهذا الأمن قرين الإيمان كما أن السلامة قرينة الإسلام وقد شُرع لنا في أول كل شهر عند رؤية الهلال أن نقول : «اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام» ، فالأمن قرين الإيمان بوجوده يوجد وبفقده يُفقد ، وكذلكم قل في اقتران السلامة بالإسلام ، ونظير هذا الاقتران أيضا ما جاء في الحديث ((المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)) ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

شاهد القول : أن الآية الكريمة دليلٌ على فضل التوحيد ومكانته العلية ، وعظيم ثواب أهله عند الله سبحانه وتعالى ، وأنَّ لهم الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة .

قال رحمه الله تعالى :

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث المتفق على صحته؛ حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق**)) ؛ هذه خمسة أمور اشتمل عليها هذا الحديث وهي من جوامع ما ينبغي أن تُربط عليه القلوب وتعتقده القلوب وتؤمن به . وفي الإيمان بهذا الذي ذكر في هذا الحديث مباينة لجميع العقائد الباطلة من وثنية أو ديانات محرفة أو نِحل باطلة أو نحو ذلك ، فجاء بجُمَله الخمس على جماع الاعتقاد .

قال : ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)) شهد لله جل في علاه بالوحدانية «وحده لا شريك له»، وهذه الشهادة لا تكون إلا عن علمٍ بالمشهود به ، وصدقٍ من الشاهد ، وعملٍ بما تقتضيه . وإذا كان لا يعلم لم يكن لشهادته معنى والله تعالى يقول : ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] «شهد بالحق» أي لا إله إلا الله ، «وهم يعلمون» أي معنى ما شهد به ، والله يقول ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩] في صحيح مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) .

فمن الأسس العظيمة لقبول هذا التشهد أن يكون عن علم ، أما أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وهو لا يدري ما يقول ولا يدري ما معناه !! أو أنه يفهمه فهما مغلوطاً مثل من يفسر لا إله إلا الله بالربوبية ؛ لا خالق إلا الله أو لا رازق إلا الله ثم يذهب يستغيث بالمقبورين أو يستنجد بترابٍ أو بشجرٍ أو بحجر ويظن أن أعماله هذه لا تناقض «لا إله إلا الله» ، لأن قصارى فهمه لـ«لا إله إلا الله» أنها تعني الإيمان بأن الله خالق الخلق وموجد الناس وأن أعماله هذه ليس لها شأن ولا علاقة بلا إله إلا الله ، وما يدري هذا الضائع أن أعماله هذه تنقض «لا إله إلا الله» ولو كان يقولها آلاف المرات ، فلا تنفعه لأنه نقضها بأعماله . مثله من توضأ ليصلي ثم أحدث وذهب يصلي؛ لا صلاة له ، فـ«لا إله إلا الله» إنما تكون نافعة من قائلها بعلمه بمعناها وما تدل عليه وأنها تعني إخلاص الدين لله عز وجل والبراءة من الشرك ، وتعني إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، أما أن يقول «لا إله إلا الله» ثم بعد قليل يقول مدد يا فلان هذا ليس من أهل لا إله إلا الله ، أغثني يا فلان ، أو يقول إن لم تدركني يا فلان من الذي يدركني ، أو يقول إن لم تأخذ بيدي من يأخذ بيدي ، أو يقول أنا لائذ ببابك يا فلان ومنيط بأعتابك وملتجئ إليك ومستجير بك ، إلى غير ذلك من الشرك الصراح أيُّ نفعٍ يكون لـ«لا إله إلا الله» إذا كانت تُنقض بفعل ما يضادها وينافيها تمام المنافاة!!

فلا إله إلا الله لابد فيها من علم بما دلت عليه ، ولما كان أقوام يرددون هذه الكلمة ولا يعون المعنى وقعوا في مثل هذه الأمور ووقعوا في مثل هذه الأعمال ، لكن من فهم التوحيد والإخلاص الذي تدل عليه «لا إله إلا الله» وأقر

بذلك وأذعن فإنه سيكون بإذن الله عز وجل في عافية وسلامة من ذلك الباطل وذلك الشرك والضلال ، فلابد فيها من علم .

ولابد من صدق ؛ إن قالها باللسان فقط دون أن تقوم هذه الحقيقة –حقيقة التوحيد– بالقلب إخلاصاً للمعبود سبحانه وتعالى وبراءةً من الشرك لا يكون من أهل لا إله إلا الله ، لابد أن يكون قد قالها صدقاً من قلبه .

ولابد أيضاً من عملٍ بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة من عبادة وطاعة وامتثال لله وإخلاص الدين له جل وعلا .

بالعلم يخرج من طريقة النصارى الذين يعملون ولا يعلمون ، وبالصدق يخرج من طريقة المنافقين الذين يظهرون ما لا يُبطنون ، وبالعمل يخرج من طريقة اليهود الذين يعلمون ولا يعملون ، فلا بد من علمٍ وصدقٍ وعمل .

و«لا إله إلا الله» هي مفتاح الجنة لكن لا ينتفع بهذا المفتاح إلا إذا أتى بقيودها وضوابطها الواردة في الكتاب والسنة، ولهذا قيل لوهب بن منبه رحمه الله : أليست لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : «بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك وإلا لم يُفتح» . وسيأتي معناها فيما ساقه المصنف رحمه الله تعالى من أدلة في هذا الباب وغيره القيود والضوابط والشروط التي لا تكون لا إله إلا الله مقبولة إلا بها .

قال : ((**من شهد أن لا إله إلا الله**)) ؛ «لا إله إلا الله» هذه كلمة التوحيد ،وفيها نفي وإثبات ، ولا توحيد إلا بهما بالنفي والإثبات «لا إله»، «إلا الله» ، فمن نفى ولم يثبت لم يكن موحدا ، ومن أثبت ولم ينف لا يكون موحدا ؛ التوحيد نفي وإثبات .

وأكد هذا النفي والإثبات الذي هو التوحيد بقوله ((**وحده لا شريك له**)) ؛ فقوله «وحده» تأكيد للإثبات ، وقوله «لا شريك له» تأكيد للنفي ، فلما ذكر كلمة التوحيد أكد ما دلت عليه من معنى بقوله ((وحده لا شريك له)).

((**من شهد لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله**)) أي شهد للنبي عليه الصلاة والسلام بالعبودية والرسالة «عبده ورسوله» ؛ وفي ذكر هذين الأمرين العبودية والرسالة معاً ، وكثيراً ما يُقرن بينهما في النصوص بل قال عليه الصلاة والسلام ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ؛ إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) ؛ في الجمع بين هذين الأمرين في الشهادة للنبي عليه الصلاة والسلام توسطٌ واعتدال ، وسلامة من الغلو والجفاء .

ففي قوله «عبده» سلامة من الغلو لأن العبد لا يُعبد ، فمن أضاف إلى النبي عليه الصلاة والسلام شيئا من خصائص الرب أو شيئا من حقوق الرب سبحانه وتعالى هذا يتنافى مع الإقرار بأنه عبد ، لأن العبد لا يُعبد وليس له شيء من خصائص الرب وليس له شيء من حقوق الرب ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠] ؛ فلا يضاف إليه شيء من خصائص الرب أو شيء من حقوق الرب سبحانه وتعالى .

وقوله «ورسوله» هذا فيه السلامة من الجفاء ؛ لأن الرسول يطاع ويُتبع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء:٦٤] ، فالإقرار بأنه رسول الله تعني: طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، والانتهاء عما نهى عنه وزجر . فإذاً قول المتشهد «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» فيه التوسط والاعتدال والسلامة من الإفراط والتفريط.

قال ((**وأن عيسى**)) أي ابن مريم عليه السلام ((**عبد الله ورسوله**)) أيضا في هذا توسط واعتدال بين غلو من غلا فيه وهم النصارى ، وجفاء من جفا فيه وهم اليهود؛ ففيه التوسط في عيسى عليه السلام «عبد الله ورسوله» .

((**وكلمته ألقاها إلى مريم**)) «وكلمته» أي كلمة الله ، الكلمة هنا مضافة إلى الله سبحانه وتعالى . والكلام صفة من صفاته وهو نوعان : كوني قدري ، وشرعي ديني . والكلمة هنا المراد بها: الكونية القدرية .

قال ((**وكلمته**)) فعيسى عليه السلام كلمة الله لأنه بالكلمة كان ، ليس عيسى ابن مريم عليه السلام هو نفس الكلمة وإنما بالكلمة كان، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩] ، فعيسى كان بالكلمة ، قال الله كن فكان ، هذا معنى «كلمته» أي :كان عليه السلام بالكلمة ، والمراد بالكلمة الكونية القدرية ، قال الله كن فكان عيسى عليه السلام ، فليس هو نفس الكلمة .

والعلماء رحمهم الله يقولون في مثل هذا المقام : المصدر إذا أضيف إلى الله – مثل الكلمة ومثل الرحمة ومثل الأمر ونحو ذلك– المصدر إذا أضيف إلى الله تارةً يراد به الصفة ،وتارة يراد به أثر الصفة ، وهذا إنما يُعلم بالسياق وفهمه وتأمله ؛ مثلًا قول الله في الحديث القدسي للجنة ((أنت رحمتي)) ؛ «رحمة» مصدر مضاف إلى الله رحمتي ، والجنة ليست هي الصفة وإنما هي أثر الصفة ، فالمصدر إذا أضيف إلى الله سبحانه وتعالى تارة يراد به الصفة وتارة يراد به أثرها . فإذاً قوله هنا ((كلمته)) مصدر أضيف إلى الله المراد به الأثر ؛ لأن عيسى كان بالكلمة . قال: ((وكلمته ألقاها إلى مريم))

((**وروح منه**)) ؛ أيضاً إضافة الروح هنا إلى الله أنها من الله الإضافة هنا إضافة خلْقٍ ، وهي تقتضي التشريف والتكريم مثل قوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية:١٣] أي خلْقًا وإيجاداً ، وهو يختلف تماماً عن مثل قوله تعالى ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[السجدة:٢] هنا وصفاً .

فما يقال فيه «من الله» لا يخلو من حالتين :

– إما أن يكون عينا قائمة بنفسها ؛ فإضافته إلى الله إضافة خلْق ، مثل إضافة السماوات والأرض إلى الله أنها من الله ، ومثل إضافة الروح هنا «من الله» أي خلقا .

– أما ما لم يكن عيناً قائمة بنفسها وإنما كان وصفًا لا يقوم إلا بغيره فإضافته إلى الله إضافة وصف ، ومنه : ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ومن لم يفرّق بين النوعين جعل البابين باباً واحدا فضلَّ عن سواء السبيل ؛ إما أن يجعل كل ذلك من الله خلقاً ، أو أنه يجعل كل ذلك من الله وصفاً ، وفي كلٍ من المذهبين نوعٌ من الضلال والباطل ، إما بجعل مخلوقاتٍ لله أوصافًا له كما هي عقائد الاتحادية ومن لفَّ لفهم ، أو جحد لصفات الله سبحانه وتعالى كما هي عقائد المعطلة ونفاة الصفات ومن لف لفهم .

فإذاً قوله ((**وروح منه**)) أي من الأرواح التي خلقها الله ، لكن أضافها إلى نفسه لأنه الذي خلقها سبحانه وتعالى «منه» أي خلْقا ، والإضافة هنا تقتضي التشريف .

قال: ((**والجنة حق والنار حق**)) أي شهد أن الجنة حق وأن النار حق . شهد أن الجنة حق خلقها الله سبحانه وتعالى داراً يكرم فيها أولياءه وأصفياءه وعباده ، أعد لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أعدَّها نزلاً لعباده وأولياءه ؛ فيؤمن بها وأنها مخلوقة خلقها الله ،وأنها موجودة الآن معدَّة ومهيأة لأهلها ، ويؤمن بما جاء في النصوص من أنواع النعيم وصنوف المنن ، ويؤمن بأن أهلها يخلَّدون فيها أبد الآباد وأنهم يظفرون فيها بأكمل النعيم وأعظم المنن وأجل العطاء ، فيها قرة العين وفيها بهجة النفس وفيها لذة القلب وفيها السرور ، فيؤمن بأن الجنة حق ، وإيمانه بأنها حق وأنها معدَّة لأوليائه يقتضي هذا الإيمان أن يجاهد نفسه للعمل بعمل أهل الجنة والبُعد عن الأعمال التي تُبعده عن الجنة .

((**والنار حق**)) أي يشهد أن النار حق ، فيؤمن بوجود النار وأنها دارٌ أعدها الله سبحانه وتعالى دار عذاب وعقوبة لأولئك الذين غضب الله عليهم وسخط عليهم ولم يقوموا بما أوجب تبارك وتعالى عليهم ، ويؤمن كذلك بأنواع العذاب والنكال الذي أُعدَّ لأهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها الكفار يخلَّدون فيها أبد الآباد ، وأما من دخلها من عصاة الموحدين فإن دخولهم ليس دخول تأبيد وإنما دخول تطهير ثم يُخرجون منها ويكون مآلهم إلى الجنة .

فيؤمن بالنار وأنها حق ؛ وهذا الإيمان يقتضي أن يبتعد هذا المؤمن بالنار وأنها حق عن موجبات دخول النار وأسباب دخولها ؛ فيجاهد نفسه على البُعد عنها والحذر من الوقوع فيها ، لأن هذا أمر يقتضيه هذا الإيمان ؛ أرأيتم لو أن شخصاً قيل له إن هذا الطريق إذا مشيت فيه بعد مسافة ستكون هاوية وفيها نار محرقة ، والهاوية أيضا فجأة تسقط فيها وأنت لا تشعر ، وأن ناسًا كثير ذهبوا وسقطوا في الهاوية وهلكوا ، وعرف أن هذا الأمر حق ؛ هل يخاطر ويذهب مع ذلك الطريق ؟ فإذا وُجد الإيمان الصادق بأن النار حق وأنها دار أعدت للعقاب وللعذاب ، والأعمال التي هي سبب لدخول النار ذُكرت في الكتاب والسنة فهذا الإيمان يقتضي من المؤمن أن يبتعد عن موجبات دخول النار وأسباب دخولها .

لما ذكر هذه الأمور الخمسة التي هي جماع الاعتقاد ذكر الثواب ، وهذا موضع الشاهد للترجمة ، قال : ((**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**)) ؛ يعني من شهد هذه الشهادات الخمس المذكورة في هذا الحديث أدخله الله

الجنة على ما كان من العمل ، هذا الشاهد من الحديث للترجمة لأن فيه ثواب التوحيد وفضل التوحيد وثمرة التوحيد وآثار التوحيد .

قوله ((**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**)) يحتمل أمرين كلاهما ذكره أهل العلم :

❖ الأول : أدخله الله الجنة على ما كان من عملٍ صالح أو طالح ؛ يعني حتى وإن كان عنده معاصي دون الشرك ودون الكفر أدخله الله الجنة ، سواءً كان هذا الدخول دخولاً أوليا لمن كمَّل إيمانه ، أو كان الدخول بعد مرحلة تطهير لكنه يدخل الجنة ((أدخله الله الجنة)) فالموحد مآله إلى الجنة ، إما دخولًا أوليا إن كمَّل إيمانه وسيأتي عند المصنف «باب تحقيق التوحيد» ، أو يكون دخوله بعد مرحلة التطهير . فهذا احتمال .

❖ والاحتمال الثاني : ((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) أي أن من يدخلون الجنة منازلهم في الجنة ودرجاتهم بحسب الأعمال ، لا يكونون كلهم في مستوى أو درجة واحدة في الجنة ، بل الأمر كما قال الله جل في علاه ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩] . فـ((أدخله الجنة على ما كان من العمل)) أي أنهم يدخلون الجنة ودرجاتهم فيها ومنازلهم بحسب الأعمال .

قال رحمه الله تعالى :

ولهما في حديث عتبان : « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

****

قال ((**ولهما**)) أي للشيخين البخاري ومسلم .

((**من حديث عتبان**)) بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث طويل اقتصر المصنف رحمه الله على موضع الشاهد منه للترجمة .

قال : ((**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**)) ؛ ففيه فضل التوحيد وعظيم ثوابه، وأن الله سبحانه وتعالى حرَّم على النار ؛ هذا هو الثواب والثمرة العظيمة للتوحيد أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله .

((**حرَّم على النار**)) إما أن يكون التحريم تحريم الدخول ، أو يكون التحريم تحريم التأبيد .

- الأول وهو الأقرب في هذا الحديث لأنه قال ((من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) قال العلماء هذا شأن المحقق للتوحيد في إخلاصه وإذعانه وكمال صحة التوحيد في قلبه . قالوا من كان بهذه الصفة أثمر صلاحاً في أعماله وطاعاته وعبادته لما قام في قلبه من صدق وقوة إخلاص وابتغاء لوجه الله سبحانه وتعالى بالأعمال والطاعات ، فيكون التحريم تحريما للدخول -دخول النار- ، لأن محقق التوحيد وهذا سيأتي في ترجمة قريبة

يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب؛ أي يدخلها دخولا أولياً مباشرًا دون أن يمر بحساب أو عذاب . نسأل الله أن يكرمنا جميعا بذلك، يا ربنا أكرمنا بذلك يا ذا الجلال والإكرام . هذا قسم .

- والقسم الثاني : قد يكون من أهل لا إله إلا الله ويكون له دخول للنار بسبب الذنوب والمعاصي والكبائر التي ارتكبها التي هي دون الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى ، وقد جاء في الحديث ((أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من خير)) في رواية ((من إيمان)) ؛ هذا يدل على أن من أهل لا إله إلا الله من سيدخل النار مع أنه قالها إيماناً وعن إخلاص . وهي لا تكون نافعة بمجرد القول باللسان لابد أن يكون قالها عن إيمان . فهؤلاء التحريم الذي في حقهم هو تحريم التأبيد ، لأنه لا يخلد في النار إلا الكافر المشرك ، أما من دخل النار من أهل «لا إله إلا الله» بسبب الذنوب وسبب المعاصي والكبائر التي ارتكبها فإنه يبقى فيها وقتاً أو أمداً ثم يخرج ، ولهذا خروج عصاة الموحدين من النار يكون على دفعات مثل ما جاء في صحيح مسلم ((ضبائر ضبائر)) أي دفعات دفعات ، لا يخرجون جملة واحدة وإنما يخرجون في أوقات متفاوتة لأنهم متفاوتون في الكبائر التي أوجبت دخولهم النار .

فإذًا من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بها وجه الله حرم الله عليه النار ؛ إن كان محققاً للتوحيد فهو تحريم للدخول ، وإن كان ليس محققاً وإنما وقع في بعض المعاصي أو الكبائر أو الآثام التي أوجبت دخوله النار فإن التحريم في حقه تحريم التأبيد ، فيدخل ويبقى في النار ليطهَّر وينقَّى من ذنوبه ثم يخرج ، هذا حال دخول عصاة الموحدين. أما دخول المشرك للنار فهو ليس دخول تطهير ، لأن الشرك خبثٌ لا تطهره النار فيدخلها ليؤبد فيها ويخلد ويكون فيها أبد الآباد كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦] .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

****

ثم أورد الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذا الحديث – حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**قال موسى**)) أي ابن عمران كليم الله عليه وعلى جميع النبيين الصلاة والسلام .

قال : ((**يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به**)) ؛ «علمني شيئا» أي كلاما «أذكرك» أي كلاماً أواظب عليه ذكراً لك ، ذكرًا أذكرك به أي أكون ذاكرا لك به، «وأدعوك به» أي أتوسل إليك به في دعائي وسؤالي وطلبي.

((**قال**)) أي الله جل في علاه ((**قل يا موسى لا إله إلا الله**)) أي بهذا اذكرني «لا إله إلا الله»؛ وهذا فيه دلالة على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر كما صح في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((أفضل الذكر لا إله إلا الله)) ، وهي أعلى شعب الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة –أو ستون شعبة– أعلاها قول لا إله إلا الله)) ، فهي أفضل الذكر .

سأل الله أن يعلمه شيئا يذكر الله ويدعو الله به فقال ((قل لا إله إلا الله)) ؛ مما يستفاد من هذا : أن ذكر الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بما هو جملة تامة مفيدة ، مثل هذه الكلمة «لا إله إلا الله» كلمة تفيد التوحيد والإخلاص ، فلا يُذكر إلا بما كان من الكلام كذلك ، وهذا شأن جميع الأذكار المأثورة : «الله أكبر» ، «سبحان الله» ، «الحمد لله» ، «لا حول ولا قوة إلا بالله» وغير ذلك كلها جمل مفيدة . وهذا مما يدل على بطلان ما عليه الطرقية الذين يذكرون الله بترداد اسم الجلالة مظهَراً أو مضمرا ، فبعضهم يكتفي في الذكر بأن يقول «الله» ويكررها ، أو يأتي بالضمير «هو» ويكرره يكتفي بذلك ؛ هذا ليس ذكرا لله ، وعمله هذا لا يعدُّ طاعة لله ، ولا ينال به شيئا من ثواب الذاكرين ، ولو جلس على هذه الحال يذكر صباحاً ومساء لم يُكتب من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات لأن هذا ليس ذكراً لله سبحانه وتعالى ، وإنما ذكر الله إنما يكون بما شرع ، ويكون بهذه الجمل المفيدة التي تعطي معاني ودلالات ، لما يقول «لا إله إلا الله» هذا توحيد ، لما يقول «الله أكبر» هذا تعظيم ، لما يقول «سبحان الله» هذا تنزيه ، لما يقول «الحمد لله» هذا ثناء ، لما يقول «لا حول ولا قوة إلا بالله» هذه استعانة ، وهكذا كلها معاني عظيمة اشتملت عليها الأذكار المشروعة ، أما مثل ما يصنع أولئك هذا ليس ذكراً لله ؛ ((قال علمني شيئا أذكرك وأدعوك به ، قال قل لا إله إلا الله)) .

((**قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا**)) ؛ «كل عبادك» أي : المؤمنين ، أهل التوحيد أهل لا إله إلا الله ؛ كلهم يقولون هذا . أيضا هذا فيه تأكيد الفائدة السابقة ((كل عبادك يقولون هذا)) : يقولون لا إله إلا الله ؛ إذاً أولئك الذين يكتفون بلفظ الجلالة «الله» أو بالضمير «هو» ما دخلوا هنا في هذا الذي ذكره موسى عليه السلام قال ((كل عبادك يقولون هذا)) أي يقولون «لا إله إلا الله» .

ومن المصائب العظيمة أن كبراء أولئك الذين علَّموهم هذه الأذكار قسَّموا الذكر إلى ثلاثة أقسام : قالوا ذِكر للعامة ، وذِكر للخاصة ، وذِكر لخاصة الخاصة ؛ قالوا ذكر العامة: لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة: الله ، وذكر

خاصة الخاصة: هو ، هكذا يقولون . إذاً هذا الذي يقوله موسى ((كل عبادك يقولون هذا)) لم يدخل هؤلاء لا على اصطلاحهم الخاصة ولا خاصة الخاصة ما دخلوا تحت ما قال موسى عليه السلام ((كل عبادك يقولون هذا)) ، عباد الله يقولون «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد أعظم الذكر وأرفع شعب الإيمان وأجلّ الكلمات على الإطلاق .

قال((كل عبادك يقولون هذا)) ؛ أراد شيئا يخصه سبحانه وتعالى به ، أن يخصه بشيء .

قال سبحانه وتعالى : ((**يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة**)) السماوات كلها وعامرهن أي ما فيها من الملائكة ، والأرض الأرضين السبع وما فيها من عمَّار كل هذه المخلوقات لو جعلت في كفة و«لا إله الله» في كفة ، يعني لو جيء بميزان ووضعت السماوات والأرضين وما فيهما من عمَّار لو وضعت في كفة ، و«لا إله إلا الله» قال: ((**مالت بهن لا إله إلا الله**)) وهذا يدل على عظم ثقل «لا إله إلا الله» في الوزن ، ثقيلة في الوزن ، لها ثقل في الميزان ؛ وهذا فيه التنبيه على أهمية الإكثار من ذكر الله بـ«لا إله إلا الله» ، ثقيلة في الميزان ، لو وُضعت السماوات وعمارها والأرضون وعمارها في كفة و«لا إله إلا الله» في كفة مالت بهن «لا إله إلا الله» . وهذا الشاهد من الحديث للترجمة فضل التوحيد وثقل كلمة التوحيد لا إله إلا الله في الميزان .

مثله حديث البطاقة المشهور حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ((يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ لَا ، فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ؛ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ؛ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ)) فهذا كله مما يدل على فضل التوحيد وفضل كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وأن لا إله إلا الله يجب على قائلها أن يقولها عن إخلاص وعلم وتحقيق للتوحيد الذي دلت عليه .

فهذا الحديث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأرضاه فيه شاهد للترجمة؛ من حيث بيان مكانة التوحيد وفضله وعظيم ثوابه ، وأن كلمة التوحيد هي أثقل ما يكون في الميزان .

والمصنف رحمه الله تعالى أشار إلى أن الحديث رواه ابن حبان والحاكم وصححه ، فأشار إلى تصحيح ابن حبان له وتصحيح الحاكم له ، وأيضاً صحح الحديث غير واحد من أهل العلم ، ومن أهل العلم من تكلم في إسناده من أجل أبي السمح درَّاج ابن سمعان ولاسيما أن روايته عن أبي الهيثم ، فمن أهل العلم من تكلم فيه ، ولكن أيضا مع ذلك لا يضر لأن ما ساق المصنف هذا الحديث لأجله من بيانٍ لثقل «لا إله إلا الله» في الوزن يشهد له ما

خرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن نبينا عليه الصلاة والسلام أن نوحا عليه السلام قال لابنه : ((يا بني آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله)) والحديث إسناده صحيح . فما جاء في هذا الحديث من بيان لفضل كلمة التوحيد وأنها ترجح لو وضعت في كفة والسماوات السبع والأرضون السبع في كفة أنها ترجح بهن هذا يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهو حديث صحيح .

قال رحمه الله تعالى :

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا : لأتيتك بقرابها مغفرة» .

****

ثم ختم رحمه الله تعالى هذه الترجمة بهذا الحديث حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحديث يتكون من ثلاث جمل اقتصر منها رحمه الله تعالى على موضع الشاهد .

قال أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن الله تعالى قال : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)) ؛ والحديث بجمله الثلاث اشتمل على أعظم أسباب المغفرة وهي ثلاثة : الدعاء مع الرجاء، والاستغفار، والتوحيد . وأعظم هذه الأسباب للمغفرة التوحيد ، بل بدونه لا مطمع للإنسان في المغفرة ، ولا حظ له فيها ولا نصيب إن مات على غير التوحيد كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ ، فالتوحيد هو الأساس الذي تُنال به المغفرة ، وبدونه لا مطمع للإنسان فيها ولا حظ ولا نصيب إن مات على الشرك بالله سبحانه وتعالى .

والشاهد من الحديث للترجمة: أن فيه فضل عظيم للتوحيد ، يقول الله عز وجل : ((**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض**)) أي ملأ الأرض أو ما يقارب ملأها ((**خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا**)) «شيئا» نكرة في هذا السياق سياق النفي فتفيد العموم ؛ أي : أي شيء من الشرك ، بحيث يكون العبد بعيداً عنه كل البعد صغيره وكبيره ((**لا تشرك بي شيئا ؛ لأتيتك بقرابها مغفرة**)) أي بملأ الأرض مغفرة ؛ فهذا فيه فضل التوحيد ، وفيه تكفير التوحيد للذنوب .

قال المصنف «فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب»؛ وعطف التكفير على الفضل هو من عطف الخاص على العام ، لأن من فضائل التوحيد أنه يكفر الذنوب ، لكن خصها بالذكر مع أنها داخلة في الفضائل لعظم شأن ذلك . وختم بهذا الحديث لما فيه من دلالة على هذه الفضيلة العظيمة للتوحيد .

قال رحمه الله :

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

وهذه المسألة والفائدة مستفادة من قوله ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة)) ؛ فهذا من الدلائل الواضحة على سعة فضل الله سبحانه وتعالى ، إضافةً إلى الفضائل التي تضمنتها الأحاديث التي أوردها رحمه الله تعالى في هذا الباب .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

وشاهد هذه المسألة ما ساقه رحمه الله تعالى من أحاديث فيها دلائل متنوعة على كثرة فضل التوحيد وعظيم ثوابه عند الله سبحانه وتعالى .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الثالثة : تكفيره مع ذلك – أي مع كثرة ثواب التوحيد وعظيم فضله – للذنوب ، وهذا مستفاد من الحديث ((من مات وهو لا يشرك بالله شيئا)) ، ومن قوله ((ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) وقراب الأرض أي ملؤها أو ما يقارب ملئها . فهذا فيه أن التوحيد مع عظيم فضله فيه تكفير الذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التي في سورة الأنعام .

أي قول الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ؛ وقد مر معنا تفسير هذه الآية ودلالتها على عظيم ثواب التوحيد وعظيم الفضل المترتب عليه ، وأن من آمن ولم يخلط إيمانه بشركٍ بالله تبارك وتعالى فله الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة .

الخامسة : تأمُّل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

حديث عبادة ابن الصامت ذكر النبي صلوات الله وسلامه عليه فيه خمسة أمور :

- الأولى: شهادة أن لا إله إلا الله .
- والثانية: شهادة أن محمداً رسول الله .
- والثالثة: شهادة أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .
- والرابعة : أن الجنة حق .
- والخامسة : أن النار حق .

فالمسألة هنا تأمُّل هذه الخمس اللواتي في حديث عبادة ، وهذه الخمس جمعت أصول العقائد وأمهات العقائد الدينية ، وأيضاً جمعت ما تتميز به هذه العقيدة الإسلامية عن العقائد الأخرى سواءً منها العقائد المحرَّفة أو الأديان الباطلة .

السادسة : أنك إذا جمعتَ بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين .

السادسة : «**أنك إذا جمعتَ بينه**» أي : حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه وفيه ذِكْرُ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم في تمامه قال: ((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) ، يقول «**إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان**» ؛ حديث عتبان فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام ((يبتغي بذلك وجه الله)) وهذا شرط لقبول هذه الكلمة ، كذلكم قوله رحمه الله تعالى «**وما بعده**» أي وما بعد حديث عتبان يشير إلى حديث أنس ابن مالك وفيه ((ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا)) وهذا أيضاً قيد ؛ فهذه القيود تفيد أن «لا إله إلا الله» لا تكون نافعة لقائلها بمجرد التكلم أو النطق بها ، بل لابد من أن يأتي بشروطها وضوابطها الواردة في كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ومن هذه الضوابط : أن يبتغي بها وجه الله ، ومنها أن لا يشرك بالله شيئا يحقق ما دلت عليه من الإخلاص والبراءة من الشرك والبعد عنه . فبهذه الضوابط وهذه القيود تكون «لا إله إلا الله» نافعة لصاحبها . وأيضا **بهذا يتبين** كما قال المصنف رحمه الله تعالى **خطأ المغرورين** : أي الذي يظن أن «لا إله إلا الله» إنما تنفع بمجرد النطق بها ولو كان لم يحقق ضوابطها وقيودها الواردة في الكتاب والسنة .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

في حديث عتبان الشرط هو: أن يبتغي وجه الله ؛ فهذا شرطٌ لقبول «لا إله إلا الله» وترتب الثواب على قولها، ((من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) فهذا قيد وشرط لا تكون لا إله إلا الله مقبولة إلا به ((من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) ، لكن إن قالها وقلبه لا يبتغي بهذا القول وجه الله !! والابتغاء في القلب ، النطق بهذه الكلمة باللسان لكن ابتغاء وجه الله هذا شيء في القلب لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، فلا

تنفع «لا إله إلا الله» قائلها إلا إذا قالها يبتغي بها وجه الله ، لكن إن قالها نفاقاً لم تنفعه ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون:١] ، هذه الشهادة لا تنفعهم مع أنهم نطقوا بها بألسنتهم لكن لا تنفعهم لأن هذا الذي نطقوا به بألسنتهم لم يبتغوا به وجه الله ، فلا إله إلا الله إنما تنفع قائلها إذا قالها يبتغي بها وجه الله .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله» .

وذلك لأن موسى عليه السلام لما قال له الله جل وعلا ((يا موسى قل لا إله إلا الله)) قال : ((كل عبادك يقولون هذا)) ، فقال الله عز وجل : ((يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)) ؛ وهذا تنبيه على فضل لا إله الله ، أخذ منه المصنف رحمه الله كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله» .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ؛ مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

التنبيه لرجحانها – أي لا إله إلا الله – بجميع المخلوقات ؛ لأن في حديث أبي سعيد أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: ((لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وضعت في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله)) ؛ فهذا يدل على رجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه !! ما السبب وهو يقول «لا إله إلا الله» ؟! هذا فيه فائدة عظيمة تتعلق بهذه الكلمة – كلمة لا إله إلا الله – أنها إنما تنفع قائلها وتكون ثقيلة في الميزان بحسب ما قام في القلب من صدق وإخلاص وإيمان بالله تبارك وتعالى ، أما أن يكون يقولها مجرد قولٍ باللسان مع عدم الصدق والإخلاص ونحو ذلك من الشروط فلا تُقبل ، أو أن يقولها بلسانه ويكون إيمانه القلبي ضعيف جداً فهذا يخف ميزانه وقد يدخل النار ويبقى فيها مدة من الزمان مع أنه يقول لا إله إلا الله !! بسبب أنه خف ميزانه ، ولهذا جاء في الحديث ((أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان)) .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبعٌ كالسماوات .

هذا جاء مصرحاً به في الحديث قال ((والأرضين السبع)) ، وأيضا هذا قد يستفاد من قول الله جل وعلا في آخر آية من سورة الطلاق ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ .

الحادية عشرة : أن لهن عمارا .

«أن لهن» أي للسماوات والأرض «عماراً» أي سكَّانا . والسماوات فيها الملائكة وفي الحديث ((أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله)) فالسماوات لها عمَّار والأرض أيضاً لها عمَّار .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية .

إثبات الصفات خلافا للأشعرية وفي بعض النسخ "خلافاً للمعطلة" ؛ ففي هذه الأحاديث التي ساق المصنف رحمه الله تعالى ردّ على هؤلاء الذين يعطلون صفات الله سبحانه وتعالى ، سواءً منهم من يعطلها تعطيلا صريحا بجحدها ، أو من يتأوَّلها تأويلات بعيدة ويكون نتيجة تلك التأويلات تعطيل صفات الله الثابتة له جل في علاه ، فمثلاً من يقول "الاستواء هو الاستيلاء" حاصل هذا التأويل جحد الاستواء الثابت في القرآن والسنة ، من يقول مثلا "الرضا إرادة الإنعام" حاصل ذلك جحد إثبات الرضا صفةً لله . فتأويل الصفات وصرْفها عن معانيها هو تعطيلٌ لها ، فهذه الأحاديث التي ساقها المصنف رحمه الله فيها إثبات الصفات خلافاً لقول من عطلها ، مثل ما جاء في حديث أبي سعيد من إثبات القول لله عز وجل ((قال الله يا موسى)) ، وأيضا إثبات الوجه في قوله ((يبتغي بذلك وجه الله)) ونحو ذلك ؛ فهذا كله فيه إثبات الصفات خلافاً لمن عطل الصفات.

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفتَ حديث أنس عرفتَ أن قوله في حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترْك الشرك ، ليس قولها باللسان .

هذه المسألة الثالثة عشرة : أنك إذا عرفتَ حديث أنس ، حديث أنس يقول فيه الله سبحانه وتعالى وهو حديث قدسي ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) ففيه قيد «لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» ، هذه المغفرة التي ذُكرت في الحديث إنما تُنال بهذا القيد «لا تشرك بي شيئا» . فإذًا هذا القيد الذي في حديث أنس يفيد أن قوله في حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترْك الشرك ، يعني قوله ((من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) حقيقة ذلك ترك الشرك ، بدليل حديث أنس ، ليس قولها باللسان ؛ لا أن يقولها قولا مجرداً بلسانه بل حقيقة ذلك أن يقولها قولاً يترتب عليه ترك الشرك والبراءة منه والبعد عنه وإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى .

الرابعة عشرة : تأمُّل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

لأنه قال في حديث عبادة: ((وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله)) فيُتأمل ذلك أي ذِكر العبودية والرسالة ؛ فيما يتعلق بنبينا عليه الصلاة والسلام وأيضا ما يتعلق بعيسى . وأشرتُ فيما سبق أن ذكر العبودية والرسالة في هذا المقام يكون به التوسط والاعتدال والسلامة من الغلو والجفاء ، لأن إثبات العبودية فيه

السلامة من الغلو ، لأن العبد لا يُعبد ولا يضاف له شيء من خصائص الرب ، فهو عبْد ، العبد لا يُعبد ، والعبد لا يضاف إليه شيء من خصائص الرب . فإذاً في الإيمان بأنه عبد سلامة من الغلو ، لكن الذي يقع في الغلو بأن يضفي على عيسى أو على نبينا عليه الصلاة والسلام شيئاً من خصائص الله أو يصرف له شيء من حقوق الله أين فهمه لكونه عبداً ؟! والعبد لا يُعبد . إذاً في إثبات العبودية السلامة من الغلو ، وفي إثبات الرسالة السلامة من الجفاء لأن الرسول يطاع ويُتبع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:٦٤] . فبقوله ((عبد الله ورسوله)) فيه أنه عبدٌ لا يُعبد بل رسول يطاع ويتبع وهذا هو التوسط والاعتدال .

هل فيه أن ما حصل لعيسى عليه السلام من الإفراط والتفريط قد يحصل لنبينا كذلك ؟

نعم هذا جاء مصرحاً به في الحديث قال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم)) ، وأيضا في قوله ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا ذراعاً ذراعا)) ، فما كان عند أولئك من غلو أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه سيوجد مثله ونظيره شبراً شبرا ذراعاً ذراعا ، فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال ((فمن!!))

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

لأنه جاء في حديث عبادة: ((وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها)) ؛ فينبّه رحمه الله تعالى هنا إلى معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] ، فعيسى كلمة الله : أي بالكلمة كان ، والمراد بالكلمة هنا كما سبق بيان ذلك: الكلمة الكونية القدرية «كن» فكان ، ليس عيسى هو الكلمة نفسها وإنما هو أثر الكلمة ، عيسى بالكلمة كان ، وأُطلق عليه «كلمةً» لأنه بالكلمة كان . فمعرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله أي أنه بالكلمة كان، بالكلمة التي هي كلمة كن فكان ، والمراد بالكلمة: أي الكلمة الكونية . وأشرت أيضاً فيما سبق أن المصدر إذا أضيف إلى الله سبحانه وتعالى تارةً يراد به الصفة وتارةً يراد به أثر الصفة وهذا يُعلم من السياق ؛ فقوله «كلمته» المراد بكلمته أي أثر الكلمة . المطر رحمة الله لماذا ؟ لأنه بالرحمة وُجد، وأوجده الله برحمته ، ولهذا تارة يطلق على المطر رحمة الله ، وتارةً يقال عنه آثار رحمة الله ، وكل هذا حق هذا باعتبار وهذا باعتبار . الجنة رحمة الله جاء في الحديث القدسي ((يقول الله للجنة أنت رحمتي)) ، والجنة ليست هي نفس الرحمة هي أثر الرحمة ، لكن المصدر إذا أضيف إلى الله سبحانه وتعالى تارةً يراد به الصفة وتارة يراد به أثر الصفة وهذا أمرٌ يُعلم بالتأمل للسياق . إذاً قوله معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله أي أنه عليه السلام بالكلمة كان ، قال الله كن فكان.

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .

معرفة كونه روحا منه في قوله في حديث عبادة ((وروح منه)) ؛ فقوله «منه» هذه الإضافة إلى الله سبحانه وتعالى تارةً يراد بها الصفة ، وتارةً يراد بها الخلْق والإيجاد لا الصفة . وهذا أيضاً يُعلم بالسياق وبمعرفة نوع هذا الذي قيل عنه إنه من الله ، فمثلًا قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] ما المراد بـ«منه» ؟ أي خلقاً وإيجاداً ، أما قول الله عن القرآن: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:٢] «منه» وصفاً . ليس البابان باباً واحدا ؛ هذه خلْق وذاك وصْف . إذاً قوله ((وروح منه)) من أي النوعين ؟ ((وروح منه)) الإضافة هنا وصف أو خلق ؟ الروح هنا مخلوقة من جملة الأرواح التي خلقها الله. إذاً قوله «وروح منه» أي من الأرواح التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، وتكون هذه الإضافة إضافة تشريف ، أضافها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه تشريفاً .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

هذه في حديث عبادة بن الصامت معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار ؛ لأنه أولاً قُرن مع الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وثانياً أيضاً جُعل شرط لدخول الجنة ؛ فهذا كله يدل على فضل الإيمان بالجنة والإيمان بالنار .

-الإيمان بالجنة : أي بأنها مخلوقة وموجودة الآن ، وأنها أعدت للمتقين ، والإيمان بالتفاصيل المتعلقة بثواب الجنة الواردة في الكتاب والسنة .

-وكذلك الإيمان بالنار : أنها مخلوقة وموجودة الآن ، وأنها أعدت للكافرين ، والإيمان بالتفاصيل المتعلقة بأنواع العقوبات التي في النار؛ فهذا كله حقٌّ وهو شرطٌ في دخول الجنة كما هو واضح في الحديث .

الثامنة عشرة : معنى قوله : «على ما كان من العمل» .

وهذه اللفظة وردت في حديث عبادة قال ((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) ، وأشرتُ فيما سبق أن هذه الكلمة تحتمل أحد معنيين :

١- «على ما كان من العمل» أي : من عمل صالح أو عمل فيه تقصير وأخطاء وتفريط ونحو ذلك .

٢- وتحتمل أن المراد بـ«على ما كان من العمل» أي درجاتهم في الجنة ومنازلهم فيها على حسب الأعمال ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف:١٩] .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

هذه المسألة مستفادة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عن السماوات والأرض : ((لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة)) ؛ فهذا يدل أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

أي كما جاء في حديث عتبان ((يبتغي بذلك وجه الله)) ؛ فهذا فيه إثبات الوجه ، وهو صفة لله تبارك وتعالى تليق بجلاله وكماله وعظمته ، فهو وجهٌ لا كالوجوه ، قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] .